(٢٣) وحبيب رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.،

قال: وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين: الواقع أن هذه الجملة وإن كانت صحيحة لكنها قاصرة في وصفه ﷺ، لأن نبينا ﷺ يستحق وصف الخلة، **والخلة: هي أعلى المحبة**؛ وذلك أنه أخبر كما أخبر الله تعالى، الله تعالى أخبر قال: **{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]** ، وأخبر ﷺ بأن الله اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، لكن بعض الناس راق له أن يقول: إبراهيم خليل الرحمن، ومحمد حبيب الرحمن. كنوع من القسمة المفتعلة، ورووا في ذلك حديثاً، ولكن هذا الحديث حديث ضعيف: أن إبراهيم له خلة، ومحمد ﷺ له المحبة، فإبراهيم خليل الرحمن، ومحمد حبيب الرحمن. لكن هذا حديث ضعيف لا تقوم به حجة، فنبينا ﷺ خليل الرحمن كما قال: (إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً)، وقال في حديث آخر: (لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وذلك أن الله اتخذني خليلاً)، فالخلة هي أعلى المحبة، ولهذا لا يمكن أن يشاركها شيء، فلا يمكن لنبينا ﷺ أن يبذل الخلة لغير الله عز وجل، لأن الله قد خلله، والخلة: هي تخلل المحبة في القلب، أما أن يتخذه أتباعه خليلاً فهذا لا بأس به، فتجد أن أبا هريرة قال: أوصاني خليلي ﷺ. فللإنسان أن يقول: خليلي ﷺ. معبراً عن أنه بلغ في محبته للنبي ﷺ أعلى المراتب، لكن لا يلزم من ذلك عكس، فهي ليست مفاعلة بمعنى أن يكون النبي ﷺ قال: (لا أحداً من الناس)، فإنه قد أفرد الخلة لربه عز وجل.

قال: وحبيب رب العالمين: إذن نقول: ينبغي أن تكون هذه المحبة هي أعلى مراتبها وأوصافها، وهي الخلة التي خصه الله تعالى بها وإبراهيم ﷺ.

واعلموا –يا رعاكم الله– أن دلائل النبوة كثيرة جداً، ولكن المتكلمين حصروها في دليل واحد وهو المعجزات، دلائل النبوة الدالة على صدق النبي ﷺ كثيرة جداً، لأن الأمر خطير، المقام خطير، أن ينتدب رجل من الناس ويقول للناس: يا أيها الناس: أنا رسول من رب العالمين، وهذا وحيه وكلامه، وآمركم بكذا وأنهاكم عن كذا. لا يمكن أن تقع هذه الدعوى إلا مدعمة بالأدلة الواضحات الجليات التي لا يبقى معها أدنى ذرة شك، فلابد من دليل، وهذا هو ما يسمى بـ: دلائل النبوة، فأما المتكلمون فحصروا دلائل النبوة في قضية واحدة وهي المعجزات، ولا شك أن المعجزات من أوضح دلائل النبوة؛ إذ **المعجزة: خرق للعادة يجريها الله تعالى على يد نبي.** فما تُخرق به العادة له ثلاث صور، إن أجراها الله تعالى على يد نبي فهي معجزة وتسميتها الصحيحة: آية، لأن هذا هو التعبير

القرآني، قال الله عز وجل: **{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى} [طه: ٢٢]** ، لم يقل: معجزة. لكن كثيراً من المصنفين تواطئ واصطلح على تسميتها: معجزة. والتعبير الأدق الأصح أن يقال: آية. وإن أجراها الله تعالى على يد رجل صالح فهي كرامة، والكرامة يقر بها أهل السنة والجماعة، وإن جرى شيء من الشعوذة والشعبذة على يد إنسان فهو سحر، فهو سحر، وهذا الأمر حمل المتكلمين من المعتزلة على إنكار كرامات الأولياء وعلى إنكار السحر، أتدرون لماذا؟ لأنهم يقولون: **لو أثبتنا خرق العادة لغير نبي لالتبس النبي بالولي، والتبس النبي بالساحر**. انتبهوا لشبهتهم، تقول المعتزلة: لا كرامة ولا سحر، ليس ثم إلا معجزة. لماذا؟وقد توافرت الأدلة على إثبات الكرامات وعلى إثبات السحر، أدلة القرآن والسنة والحس والواقع مما تواتر عند الناس تواتراً لا مجال فيه للرد والإنكار؟ تقول المعتزلة: لو أثبتنا الكرامة للولي والسحر للساحر لالتبس النبي بالولي، والتبس النبي بالساحر.

والجواب عن هذه الشبهة سهل، لماذا؟ لأن الولي إن كان ولياً حقاً فلا يمكن أن يدعي النبوة، أليس كذلك؟ ولي الله حقاً لا يمكن أن يدعي النبوة، بل إن ولي الله حقاً لا يمكن أن يدعي الولاية، هل سمعتم برجل صالح يقول عن نفسه: أنا ولي الله فلان؟ لا يوجد، بل تجد أن أولياء الله حقاً هم الذين يزرون على أنفسهم ويرون في أنفسهم التقصير، فهذا الأمر مندفع، وأما الالتباس بين النبي والساحر: فهو أشد بعداً، لأن دعوى النبوة لا يدعيها إلا أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس أمرهما إلا على أجهل الجاهلين، تأملوا معي: دعوى النبوة لا يمكن أن يدعيها إلا أصدق الصادقين: وهو النبي حقاً، أو أكذب الكاذبين: وهو مدع النبوة، ولا يلتبس حال هذا بحال هذا إلا على أجهل الجاهلين، إذ بينهما أعظم مما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، بينما بون شاسع هائل كبير، كيف يمكن أن يكون النبي الكريم النقي كالساحر المشعوذ الكذاب الأفاك المبين؟ لا يمكن أن يلتبس هذا إلا على مغفل ساذج لا يعقل.

وبالتالي: فدعوى المعتزلة دعوى ساقطة، فنحن نثبت آيات الأنبياء وكرامات الأولياء، ونثبت السحر أيضاً، وإن كنا نعتقد أن السحر لا يغير حقائق الأشياء، وإنما يخيل للمسحورين، ولهذا قال الله تعالى: **{وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه: ٦٩]** ، **{يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٦]** ، فهو نوع من الشعوذة والتلبيس على الأبصار والعقول، وليس قلباً للحقائق والأعيان، وأما الآيات التي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه فإنها تفترق تمام الافتراق عما يفعله السحرة؛ إذ أنها قلب لحقيقة الشيء، كما يقلب الله تعالى العصى إلى حية، ولهذا لما ألقى موسى عصاه أمام السحرة ما الذي جرى؟خروا سجداً، أدركوا أن هذا من غير بضاعتهم وخلاف صنعتهم، أنه شيء لا يعهدونه، شيء خلاف ما يعني يفعلونه ويصنعونه للتمويه على الناس، أدركوا بأن هذا شيء، فلذلك آمنوا

سراعاً وخرواً سجداً وقالوا: **{لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا } [طه: ٧٢، ٧٣]** ، لأنهم رأوا أمراً عظيماً، أدركوا بأن هذه حقيقة.

فنعود إلى ما كنا فيه: وهو أن دلائل النبوة لا تنحصر في الآيات التي يسميها بعض الناس: المعجزات. بل هي إحداها، ولذلك إذا أردنا أن نعدد دلائل النبوة فلنبدأ بها ونقول:

الآيات: فالله تعالى قد أجرى على أيدي أنبيائه عدة آيات عظام، قد نجى إبراهيم ﷺ من النار وقال لها: **{كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩]**، والله تعالى قد آتى صالح ﷺ الناقة التي لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، والله سبحانه وتعالى قد فلق البحر لموسى ﷺ بضربة عصى، وقلب له العصى إلى حية، وآتاه تسع آيات بينات ذكرها الله سبحانه وتعالى في مواضع من كتابه، كما أن الله سبحانه وتعالى أجرى على يد عبده عيسى ﷺ إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وإعلامهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

وأما نبينا ﷺ فآتاه الله من الآيات الشيء العظيم، منها: انفلاق القمر حين طلبت منه قريش أن يفلق لهم القمر فلقتين، فأشار النبي ﷺ فانفلق فلقتين، حتى كان جبل أبي قبيس بينهما، وشهد بذلك قوم من خارج مكة لما قالت قريش: هذا **{سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } [القمر: ٢]** ، فشهدوا بأنهم رأوا ما رأته قريش.

ومنها: ما وقع له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من الأمور العجيبة التي سيأتي ذكرها، من قطع هذه المسافات الهائلة في وقت وجيز. وشواهد وآيات كثر دواوين السيرة النبوية ملأى بها، كتسبيح الحصى بين يديه، وتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ، وسلام الشجر والحجر عليه: (إني لأعرف حجراً بمكة) كان يلقي عليه السلام ﷺ، ومعجزات كثيرة جداً اعتنى بجمعها العلماء.

فهذه كلها من الآيات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه وجعل لنبينا ﷺ منها الحظ الأوفر، هذا نوع.

من دلائل نبوته ﷺ، وهو من الدلائل المهمة التي يُعرف بها صدقه: **سيرته** ﷺ. **سيرته الكريمة**، فإن سيرة النبي تدل على صدقه، والناس قد آتاهم الله تعالى من المدارك ما يميزون به بين الصادق والكاذب، فلهذا تجد أن من لقي نبينا ﷺ من أهل الإنصاف صدقه، حتى إنه يقول: والله ما وجهك بوجه كذاب.وخذوا الأمثلة:

من أول وهلة نزل عليه الوحي في غار حراء أتى إلى خديجة في القصة المشهورة، فماذا قالت خديجة؟ قالت: يا ابن عم: إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق، والله لا يخزيك الله أبداً. أرأيتم؟ لما قال لها: (إني خشيت على نفسي)، نبينا ﷺ لم يخش على نفسه أنه كاذب، لا، خشي على نفسه أنه أصابه سوء، فلما بث ذلك لخديجة رضي الله عنها استدلت بسيرته وسابق عهده على صدقه، يعني الله تعالى الذي

استعمله في هذه الخلال الكريمة: من أنه يقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق لا يمكن أن يخزيه الله أبداً، ثم لما ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وقص عليه القصص ماذا قال ورقة؟ قال: إن هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى، وإني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة. استدل بحاله ﷺ وصدقه المعهود، حتى كان يلقب بـ: الصادق الأمين، عند قريش.

ثم من شواهد ذلك: إيمان النجاشي، فإن النجاشي لما خاطب جعفراً ﷺ ومن معه من المؤمنين وحكوا له كيف كان حالهم في الجاهلية؟ وكيف بعث الله من بين ظهرانيهم ومن أنفسهم من يدعوهم إلى كذا وكذا وكذا؟ استدل النجاشي على صدقه، ولما سمع إلى بعض ما أُنزل عليه أخذ عوداً من الأرض وقال: والله ما عدا ما جاء به نبيكم ما جاء به عيسى مثل هذه. هكذا المنصفون يدركون الصدق بالقرائن والدلائل.

ثم: هرقل حينما أجرى ذلك الاستفتاء —وإن شئنا أن نقول: الاستبانة- لأبي سفيان ومنه معه في المدة التي ماد فيه النبي ﷺ كفار قريش بعد الحديبية، خرج أبو سفيان في تجارته إلى الشام، مغتنماً فرصة التهدئة والصلح، والنبي ﷺ اغتنم ذلك بدعوة ملوك الأرض إلى الإسلام، فكان أن دعا هرقل، وكتب إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد.، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و **{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]**). هذا الخطاب -معشر طلبة العلم- هو الذي ينبغي أن يكون دستور حوار، إن كان ثم حوار أديان حقاً وصدقاً فيجب أن يكون هذا الخطاب هو دستوره وهو رائده وهو قائده وسائقه، والآية ناطقة بذلك، المهم أن أبا سفيان[١] لما وقع الكتاب في يده كان فيهم قد بلغ درجة الأسقفية، بلغ درجة في مراتب الكهنوت عند النصارى إلى درجة الأسقفية، لكنه شُغل بالملك، وعلم أن هذه الخطاب وهذه اللغة أمرها عظيم، وأن قد أظلهم زمان نبي، فلهذا طلب من أصحابه أن يبحثوا لهم عن أحد من العرب، فوجدوا أبا سفيان وصحبه، فاستحضروهم عنده، فقال: أيكم أقرب إليه نسباً؟ فقال أبو سفيان: أنا. —وصدق-، فأمره أن يتقدم وأن يكون أصحابه من ورائه، وقال: إني سائله، وقال للترجمان: قل لهم إني سائله، فإن كذب في شيء فردوه، ردوه عليه، فلم يكن بد من أن يصدق أبو سفيان، على عداوته للنبي ﷺ في ذلك الوقت قبل أن يسلم، لأن العرب تستعظم أن يُحفظ عن أحدهم كذباً، فجعل هرقل يسأله جملة من الأسئلة الكاشفة قد أعدها وزورها في ذهنه قبل أن يلتقي بالقوم، فسأله عن هذا الأمر وقال جملة من الأسئلة، قال: هل كان في أحد من آبائه من دعا إلى هذا؟ فقالوا: لا.

[١] هكذا قال الشيخ.

فقال: هل قال بهذا أحد قوله. قالوا: لا. قال: أهو فيكم ذو نسب؟ قالوا: نعم. قال: هل أُثر عليه كذب قط؟ قالوا: لا. قال أبو سفيان: لا. وكان من خلفه سكوتهم تصديق لأبي سفيان، وقال: هل يغدر؟ قالوا: لا. يقول أبو سفيان: فقلت: ونحن الآن منه في مدة. قال: فلم أجد شيئاً ممكن أن أدخل به. يعني أن أنال من رسول إلا هذا، يقول: ونحن الآن في مدة لا ندري ما هو صانع فيها؟. طبعاً لم يتمكن أن يتهمه بغدر، لكنه أدخل هذه الجملة فقط، هذا غاية ما استطاع أن يفعله، وقال: من يتبعه؟ الضعفاء؟ أم الأشراف؟ قال: الضعفاء. قال: طيب، وهل يزيدون؟ أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون. قال: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له؟ قالوا: لا. يعني سألهم أكثر من عشرة أسئلة، ثم بعد ذلك عاد عليهم بالبيان، واستدل بكل جملة من الجمل على صدق النبي ﷺ، ومن ذلك قوله له لما قال: هل جربتم عليه كذباً؟ قالوا: لا. قال: فقلت: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله. ما أعقله! ولكن للأسف عقله لم يقده إلى الاتباع، لكنه أحسن الاستنباط، قال: على الناس ويكذب على الله. واستدل أيضاً من بقية الأجوبة الأخرى بما حمله على القول، قال: لئن كان كما تقولون ليملكن موضع قدمي هاتين. في دمشق يقول هذا الكلام، ليملكن موضع قدمي هاتين، ولو أعلم أني أستطيع الخلوص إليه لفعلت وغسلت قدميه. حتى إنهم بهروا من كلام هرقل، يقول أبو سفيان: فخرجت فقلت: قد أَمِر أمر ابن أبي كبشة. نعت ينعتون به أحد أسلاف النبي ﷺ، ينبذونه بهذا اللقب. قد أَمِر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك الأصفر، ملك بني الأصفر. متعجبين كيف ذاك؟ لأنهم أميون جاهلون، أما هرقل فكان عالماً بدينه، فقال ما قال من الكلام. إلى آخر القصة.

فالمقصود أن من أعظم دلائل النبوة: النظر في سيرة النبي ﷺ، وفي حاله، فهذا أمر يدركه الناس، وشهد له ﷺ من لا يحصى، فمن رآه أدرك صدقه، ولا زال الناس يدركون هذا بحدسهم وتجربتهم ومعرفتهم، ترى الرجل فتقول: هذا الوجه وجه صادق. وترى الرجل فتقول: هذا الوجه وجه كذاب. نبينا ﷺ كان صادق اللهجة، صادق التعبير، ولهذا كان وجهه مرآة قلبه، كان –بأبي هو وأمي ﷺ- كان وجهه مرآة قلبه، يُرى في وجهه سائر التعبيرات الإنسانية، إما أن يتهلل وجهه كأنه مُذهبة، إذا فرح، وإما أن يعرف في وجهه الكراهة، وإما أن يعبث أو يقتر، صادق ﷺ، لا يخفي شيئاً، بخلاف حال بعض الناس، الذي يكون وجهه كالخشبة، لا يعطي انطباعاً، حتى إن الإنسان ليستريب من الحديث معه ومن نظراته ومن تجهمه، لا يعلم ماذا يخفي؟ أما نبينا ﷺ فكان صادق اللهجة، صادق التعبير، فلذلك هذا من أعظم دلائل النبوة، فإذا خرج رجل يقول: كذا وكذا. ولم يُجرب عليه كذب ولم يعرف إلا بالصدق، فحري أن يُقبل قوله.

ومن دلائل النبوة -وهي كثيرة-: البشارات السابقة. بشارات الأنبياء السابقين، فما من نبي إلا وبشر أمته بمحمد ﷺ، وأعلن إيمانه به، يقول الله عز وجل: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]** ، إذن أنبياء الله تعالى قد شهدوا لمحمد ﷺ بالرسالة وصدقوه سلفاً، وصرحوا بذلك، وهذا موجود في الكتب، فقد بشر به إبراهيم ﷺ ودعا ربه بذلك، قال: **{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [البقرة: ١٢٩]** ، دعا بذلك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكذلك جاء في نصوص العهد القديم ما يدل على بعثة محمد ﷺ، وعيسى ﷺ لكونه هو أولى الناس به بشر به باسمه الصريح، كما قال الله تعالى في سورة الصف: **{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦]** ، هكذا، ولكن النصارى -عليهم من الله ما يستحقون- تواطؤا على حذف هذه البشارة، وحملوا ما يوجد في العهد القديم على نبي يأتي في آخر الزمان ربما هو المسيح عيسى ابن مريم عندما ينزل في آخر الزمان، ويسمونه: المسيا. أو على غيره، كل ذلك فراراً من إثبات نبوة محمد ﷺ، ولكن الراسخون في العلم منهم شهدوا بالحق، كعبد الله بن سلام، وأثبتوا ذلك للنبي ﷺ، والنصارى حذفوا من أناجيلهم البشارة بالنبي ﷺ حتى ظهر في نحو القرن الخامس عشر الميلادي أو السادس عشر الميلادي إنجيل برنابا، إنجيل برنابا وجد في أحد المغارات أو الكهوف في جزيرة قبرص، وأحدث دوياً هائلاً حينما ظهر، إذ الإنجيل هذا يتضمن فيما يتضمن البشارة بالنبي ﷺ، وقد عددتها في نحو اثني عشر موضعاً باسمه: محمد ﷺ. وكذلك يتضمن إثبات رفع المسيح وعدم صلبه، وكل هذا مما تأباه النصارى، حتى اضطرت الكنيسة أن تصدر بياناً بأن هذا الإنجيل من الأناجيل المنحولة غير المعترف بها، وأنه ربما كتبه مسلم يعني يتقن معرفة الكتاب المقدس، ومن قام بترجمته إلى العربية فهو نصراني: خليل سعادة، حينما ترجم له أثبت أن هذا لا يمكن أن يصدر إلا عن ضليع بدين المسيح ﷺ عارف به، وأنه مهما كان لا يمكن أن يصدر من الناحية التاريخية ولا من الناحية الكتابية عن مسلم، **{وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف: ١٠]** ، والمقصود: أن في بشارات الأنبياء السابقين في كتبهم، في العهد القديم وغيره دلائل تشير إلى صدق نبينا محمد ﷺ، وكذلك من دلائل نبوته ﷺ النظر في فحوى دعواه، النظر في فحوى دعواه، إلى ما يدعو؟ لو تأملنا لوجدنا أن رسالة نبينا ﷺ ليست دعوة قومية ولا اقتصادية ولا اجتماعية ولا عرقية ولا أي مطلب من المطالب التي يمكن أن يُتهم بها داعية لنفسه، هرقل لما سأل أبا سفيان وأصحابه سأله قال: فما يأمركم به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأن نصل الرحم، وأن كذا، وأن، وينهانا عن الربا والزنا، وذكر أموراً، وعقوق الوالدين. فاستدل هرقل من هذا الجواب على أن هذه دعوى الأنبياء. إذن هذا دليل من

دلائل النبوة، وهو النظر في فحوى الدعوى، فالذي يدعو إلى هذه الأشياء ما الذي يحمله إلى أن يكذب؟ لو أراد أن ينال طمعاً دنيوياً لدعاهم إلى شخصه ونفسه، قريش لما فاوضت النبي ﷺ على يد مقدمهم عتبة بن ربيعة، قال: إن شئت أن نسودك سودناك، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن شئت أن، المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن شئت أن نزوجك زوجناك أجمل نسائنا، وإن شئت، وإن شئت. يعرض عليه جميع المغريات، والنبي ﷺ مطرق، قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: (فاسمع)، فتلا عليه صدر سورة فصلت حتى بلغ قول الله تعالى: **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣]** ، فارتجف عتبة بن ربيعة ووضع يده على فم النبي ﷺ خوفاً، آيات ثقيلات فيها من المواعظ ودلائل الصدق شيء عظيم، فخاف على قومه، وقام عن النبي ﷺ، فلما رآه قومه قالوا: لقد جاء إليكم بغير الوجه الذي ذهب به. لشدة تأثره، قال: يا قوم: دعوا الرجل. يعني تأثر بما قاله النبي ﷺ.

كل هذه دلائل تدل على صدق نبينا ﷺ، وأن الأمر ليس منحصراً فقط في المعجزات كما تدعيه المعتزلة والأشاعرة.

ثم دليل آخر: وهو في الحقيقة دليل بيّن على النبوة، وذلكم الدليل هو نصر الله وتأييده لنبيه ﷺ، إذ كيف يستقيم؟ تأملوا معي في هذا الدليل العقلي، كيف يستقيم أن ينتدب إنسان ويقول للناس: أنا رسول رب العالمين، وقد قال الله تعالى كذا، وأمركم بكذا، ونهاكم عن كذا. ثم يؤيده الله تعالى وينقله من نصر إلى نصر، ومن هزيمة إلى نصر، ويكثر أتباعه، ويصدق أقواله، ويفتح له آفاق الأرض؟ لو كان الأمر كذلك لكان في هذا طعن، يعني لو كان دعياً كذاباً لكان ذلك طعن في حكمة الله عز وجل، لأن في ذلك من التلبيس على الناس ودواعي إضلالهم شيء عظيم، أن يدعي الإنسان هذه الدعاوى العريضة الكاذبة ويقول على الله بغير علم ثم يؤيده الله وينصره ويكثر أتباعه ويثبت أركانه، هذا لا يكون، ولهذا قال ربنا عز وجل: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}[الحاقة: ٤٤ – ٤٦]** ، حاشاه ﷺ، لكن الله تعالى أراد أن ينسف كل شك ممكن أن يتطرق إلى النفوس: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ }**، لكن الذي جرى غير ذلك: أن الله أيده ونصره، فهذا من أقوى الأدلة على صدق نبينا ﷺ، وأن الله قد حقق له وعده حين وقف على الصفا، قال ﷺ: (لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)، قال الله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } [النور: ٥٥]** ، فإذا كان الله تعالى قد نصر نبيه، ثم نصر بعد نبيه أتباع نبيه ومكن لهم في

الأرض واستخلفهم فيها، فكل ذلك يدل على صدق دعوى النبي، وأنه ما قال إلا حقاً، ثم تأمل، تأملوا في الأدعياء الكذبة، تأملوا في الأدعياء الكذبة ماذا كان حالهم؟ لم يمهلهم الله عز وجل، حتى فضحهم ونشر خزيهم، فلا يقال: مسيلمة. حتى يقال: الكذاب. مسيلمة الكذاب. فهؤلاء الذين ادعوا النبوة وقالوا على الله بغير علم لم يمهلهم الله عز وجل حتى فضحهم وأظهر خزيهم وسقطت دعواهم.

فبهذا يتبين لنا –أيها الإخوان– أن دلائل النبوة أكثر من أن تحصى، وأن الأمر أوسع مما ضيقه به المتكلمون من أنها منحصرة في الآيات التي يسمونها: المعجزات.

لعلنا أن نكتفي بهذا القدر في هذه الليلة وبقي بقية تتعلق بمعجزات النبي ﷺ ومناقبه الكريمة، نرجئها –بإذن الله تعالى– إلى الدرس القادم.